

دلائل الإعجاز

سؤالاً منزلته إذا صرحَ بذلك السؤال كثيراً . فمن لطيف ذلك قوله من - الكامل - :

(زعمَ العواذلُ أنِّي في غمرةٍ ... صدقوا ولكن غمري لا تندجلي) . !

لمّا حكى عن العواذل أنَّهُم قالوا : " هوَ في غمرةٍ " . وكان ذلك مما يحرِّك السامعَ لأنَّ يسأله فيقول : فما قولك في ذلك وما جوابك عنه أخرجَ الكلامَ مخرجَه إذا كان ذلك قد قيل له وصار كأنَّه قال : أقول صدقوا أنَّ كما قالوا ولكن لا مطمئن لهم في فلاحي . ولو قال : زعمَ العواذلُ أنني في غمرةٍ وصدقوا لكان يكون لم يصحَّ في نفسه أنَّه مسؤول وأن كلامه كلامٌ مجيبٌ : . ومثله قول الآخر في الحماسة - الكامل - :

(زعمَ العواذلُ أنَّ ناقةَ جندبٍ ... بجَنوبِ خيبتِ عريَّته وأُجمَّته) .
(كذبَ العواذلُ لو رأينَا مُنَاخنا ... بالقادسيَّةِ قلن : لَجَّ وذلَّته) .

وقد زادَ هذا أمرَ القطع والاستئناف وتقديرَ الجواب تأكيداً بأنَّ وضعَ الظاهرَ موضعَ المضمر فقال : كذبَ العواذلُ ولم يقل : " كذبَن " . وذلك أنَّه لمَّا أعادَ ذكرَ العواذلِ ظاهراً كان ذلك أبعينَ وأقوى لكونه كلاماً مستأنفاً من حيثُ وضعه وضعاً لا يحتاجُ فيه إلى ما قبله وأتى فيه ما أتى ما لا يس قبله كلامٌ . وممّا هوَ على ذلك قول الآخر - الوافر - :

(زعمتم أنَّ إخوتكم قريشٌ ... لهم ألفٌ وليس لكم إلافٌ)